The Guardians of the Cedars
National Lebanese Movement

The Commander

حراس الأرز
حركة القومية اللبنانية

القائد

سوريا والحركات الاسلامية في لبنان

مقدمة

ان ظاهرة تنامي الحركات الاسلامية في لبنان بدأت في السبعينات مع تنامي المنظمات الفلسطينية على أرضه ، ثمّ تعاظمت في الثمانينات مع تعاظم النفوذ السوري على حساب الدولة اللبنانية، الأمر الذي أدّى الى انتشارها على شاكلة الفطر في الجسم اللبناني، حتّى أصبحت مع الوقت جزراً أمنية، أو بالاحرى بؤراً ارهابية خارجة عن سلطة الدولة وعاصية على ارادتها... هذا مع العلم أنّ هذه الظاهرة هي غريبة عن تقاليد اللبنانيين، ودخيلة على حياتهم الاجتماعية العريقة التي تميّزت عبر الأجيال بالعيش المشترك، والوئام بين طوائفهم المتنوعة بعيداً عن التعصّب الديني والتشنّج الطائفي.

وفي هذا الاطار لا بدّ من كشف الدور السوري المزدوج الذي لعبه الرئيس حافظ الأسد على هذا الصعيد، فبعد أن اطبق على لبنان، وأحكم سيطرته عليه، عمد الى تقوية الحركات ألاسلامية والمنظمات الاصولية داخل الأراضي اللبنانية، بينما منعها من العمل داخل الأراضي السورية، لا بل قمعها قمعاً جذرياً، أما السبب في ذلك فيعود الى ثلاثة أمور: الأول لكي يحارب اسرائيل انطلاقاً من لبنان بواسطة تلك المنظمات، وقد نجح في هذا الأمر نجاحاً كاملاً اذ أجبر اسرائيل على الانسحاب من بيروت ومن ثمّ من الجنوب انسحاباً ذليلاً، بعد أن تحمّل لبنان وحده تبعات تلك الحرب المدمّرة بينما بقيت سوريا تنعم بالأمن والاستقرار. الثاني اظهار لبنان بمثابة الدولة الضعيفة العاجزة عن كبح جماح تلك المنظمات، وبالتالي ضرورة الابقاء على القوات السورية لمساعدتها في ضبط الساحة اللبنانية خوفاً من عودة ما يسمّى بالحرب الأهلية، وهي الحيلة التي انطلت على معظم العواصم الغربية المهتمّة بالشأن اللبناني. أمّا الثالث ، فهو تلميع صورة النظام السوري، واظهاره بمظهر المعتدل والمناهض للتعصّب الديني والتزمّت الطائفي.

وهكذا نجحت سوريا، ومن خلفها ايران، في تحويل لبنان الى قاعدة ارهابية تأوي كل أشكال الحركات الاسلامية ومشتقاتها بينما أمرت باستئصالها داخل مجتمعها كما فعلت في مدينة حماه عندما دمّرتها على رؤوس أصحابها وشرّدت أهاليها وقتلت منهم عشرات الألوف!!! كما وأنّها ضيّقت الخناق على المخيّمات الفلسطينية ومنعت قاطنيها من حمل السلاح أو القيام بأيّ نشاط أمني أو سياسي أو عسكري، لا بل حظّرت عليهم الخروج من تلك المخيّمات من دون اذن مسبق من السلطات الأمنية.

وبالمقابل عمد النظام السوري الى دعم الفلسطينيين في لبنان دعماً كاملاً وسمح لهم بالتسلّح والتدريب وتنظيم الكوادر والخلايا، ومنع الجيش اللبناني من دخول مخيماتهم حتّى لمجرّد البحث عن مطلوب للعدالة... فتحوّلت تلك المخيمات الى ملجأ آمن للمجرمين والقتلة من مختلف الجنسيات والأعراق، وملاذاً للفارين من وجه العدالة أمثال أبو محجن ومنير المقدح وقتلة القضاة الأربعة في صيدا وغيرهم من جماعة التكفير والهجرة، وعصبة الأنصار الذين قاتلوا الجيش اللبناني في الضنيّة واختفوا في غياهب مخيّم عين الحلوة ومتاهاته.

وهناك معلومات تشير الى أنّ أفراد من تنظيم القاعدة فرّوا من أفغانستان وجاؤوا الى لبنان بحماية السوريين والتحقوا بالمخيمات الفلسطينية، وتحصّنوا فيها بعيداً عن أيّة ملاحقة، وهذا ما أشار اليه السناتور الأميركي" بوب غراهام " بعد زيارته للبنان في الصيف المنصرم، والذي طلب من حكومته أن تعطي الأولية لمحاربة المنظمات الأرهابية العاملة في لبنان في سياق حملتها الهادفة الى مكافحة الأرهاب وتقديمها على ضرب العراق مؤكداً أنّ لتلك المنظمات قواعد ومخيمات تدريب داخل المخيمات الفلسطينية وفي البقاع، اضافة الى الجنوب حيث منظمة "حزب الله" تسيطر على المنطقة الحدودية سيطرة تامّة وتتذر باشعال حرب اقليمية.

وعلى ذكر مخيمات التدريب، فقد أقام النظام السوري عدداً منها على الحدود المتاخمة للبنان لتدريب وايواء مختلف المنظمات الأرهابية التي يرعاها، ومنها على سبيل المثال المنظمة الكردية التي أثارت غضب الحكومة التركية وكادت تؤدي الى اشعال حرب تركية – سورية لولا ان سارع حافظ الأسد الى تدارك خطورة الموقف، والى اقفال ذلك المخيّم وطرد عناصر المنظمة المذكورة وعلى رأسها عبد الله أوجلان الذي ما لبث أن اعتقلته السلطات التركية.

حرص النظام السوري على انشاء مخيمات التدريب في أماكن تقع ضمن الأراضي اللبنانية المحاذية للحدود السورية وذلك بقصد ابعاد الشبهة عنه والصاقها كالعادة بلبنان، ومن تلك الأماكن نذكر البلدات التالية: حام ومعربون وجنتا والطفيل الواقعة على سلسلة الجبال الشرقية في البقاع الشمالي، وبلدتي ينطا ودير العشاير الواقعتين في البقاع الغربي على نفس السلسلة.

ومما سبق تبيّن أنّ سوريا استغلّت لبنان في كلّ المجالات، الأقتصادية والسياسية والعسكرية والأمنية، وحتّى في المجال الأرهابي، وحولته الى "مكبّ للنفايات البشرية " ومرتعاً للمجرمين وشذاذ الآفاق الوافدين من كلّ حدب وصوب، وهذا ما دفع بالادارة الأميركية الى ادراج الدولة

السورية على لائحة الدول الداعمة للأرهاب، غير أنّ ذلك لم يمنع هذه الأخيرة من الأستمرار في نهجها الأرهابي، ولكن بحذر أكثر، متستّرة وراء شعار يقول بوجوب الفصل بين الأرهاب والمقاومة، وذلك بهدف تبرير الأرهاب، واضفاء صفة الشرعية عليه وسرعان ما تبنّت الأنظمة العربية الأخرى هذا الشعار لتبرير دعمها للفلسطينيين في عملياتهم الانتحارية، ولشرعنة عمليات حزب الله ضد اسرائيل.

وحرص النظام السوري كذلك على دعم منظمة حزب الله دعماً مطلقاً منذ اوائل الثمانينات وحتى اليوم، وعلى كافة الصعد العسكرية واللوجستية والأمنية والسياسية والمعنوية، مما أدى الى تكبير حجم هذه المنظمة وتضخيم دورها، فأصبحت دولة ضمن الدولة وخطراً مستقبلياً على كيانها، ويقال ان قصف المستعمرات الأسرائيلية من قبل حزب الله كان يتم بأمر مباشر من ألرئيس الأسد، وكذلك عدد الصواريخ وتوقيت ألقصف.

وكلنا نتذكر موجة خطف الرعايا الاجانب في بيروت، منتصف الثمانينات على يد منظمات ارهابية تابعة لسوريا، ونتذكّر كيف أن عمليات الخطف كانت تتم في بيروت وتنتهي في دمشق، وكيف تحولت بيروت في نظر العالم الى عاصمة للأرهاب، ودمشق الى عاصمة لمكافحة الأرهاب، ومن سخرية القدر ان هذه الخدعة انطلت على الكثيرين ممن راحوا يمدحون الرئيس السوري ويشكرونه على " مساعيه ألحميدة " في اطلاق الرهائن غافلين عن قصد أوجهل أن سوريا كانت تأمر بخطفهم في بيروت وبتحريرهم في دمشق وصولاً الى هدفين، ألأول الأنتقام من ألمعسكر ألغربي بسبب انحيازه لأسرائيل، ومحاولة استمالته الى ألصف ألعربي من خلال الترهيب و قد نجحت في ذلك الى حد بعيد. وألثاني ابعاد رعايا عن لبنان للاستفراد به بعيداً عن أعين ألمراقبين، وقد نجحت ايضاً في هدفها هذا بحيث أن عواصم ألغرب راحت تتخلّى عن لبنان ألواحدة تلو ألأخرى إرضاء لسوريا واشباعاً لرغباتها الاقتصادية مع ألعرب.

لذلك قلنا وما نزال نقول ان استقرار هذه المنطقة من العالم يبدأ باستقرار لبنان الذي يشكّل نقطة الارتكاز فيها، وان أي ارتجاج يحدث في لبنان يفضي الى ارتجاجات في محيطه، ونضيف بأن استقرار لبنان يبدأ بتحريره من الهيمنة السورية، ومن ثم الى تنظيف أرضه من البؤر الارهابية والأدران السرطانية التي زرعها الاحتلال السوري في ألأراضي ألللبنانية على مدى سنوات الاحتلال.

الحركات الأسلامية في لبنان
لمحة موجزة

في ندوة نظمّها أحد مراكز الدراسات في بيروت وحضرها عدد من الباحثين والمتخصصين، دار النقاش حول موضوع "الحركات الأسلامية في لبنان – الواقع والتحديات" وتركّز البحث على حركة "أمل" و "حزب الله" و "الجماعة الأسلامية" و "حركة التوحيد" و "الأحباش"، ولعلّها المرّة الأولى التي توضع فيها الحركات الأسلامية تحت المجهر في نقاش علني وجريء.

وبمعزل عن الأهمية المبدئية لهذه الندوة، فهي في تطبيقاتها العملية أظهرت تبايناً في تعريف ظاهرة الحركات الأسلامية وفي قراءة تجاربه، وأقرّ البعض أنّ هناك تمايزاً فيما بينها، وبالتالي يجب عدم تعميم أدبيات الواحدة على الأخرى، انطلاقاً من التعريف بين اتجاهات سلفية تقدّس الماضي وتقترب من التاريخ، وأخرى تنفتح على العصر وتتفاعل معه من باب الأجتهاد... أمّا البعض الآخر فقد قلل من شأن الفوارق المذكورة، وأكّد أنّ الحركات الأسلامية، مهما تعددت وتنوعت، يجمعها شعار واحد: "الأسلام هو الحل"، ويوحدها السعي الى تطبيق الشريعة الأسلامية، وارتفعت أصوات تقول بأنّ هالة من الجهاد والأستشهاد التي تحيط بالحركات الأسلامية يجب أن تبقى فوق النقد والمساءلة، "ومن فعل هذا جرى اسكاته".

ثمّ تطرّق الباحثون الى الكلام على أحداث 11 أيلول وظهر من يدعو الى تسمية الأشياء بأسمائها، والقول بأنّ المواجهة ضدّ الولايات المتحدة هي بالفعل ضدّ الكفر العالمي، وبأنّ الحركات الأسلامية في حقيقة مشاعرها تؤيّد الهجمات التي حصلت على نيويورك وواشنطن في 11 أيلول، وإن اعتمدت التورية والباطنية في التعبير عن هذه المشاعر، وذهب آخرون الى حد البوح بأنّ الصراع بات مفتوحاً بين الأميركيين من جهة والأسلاميين من جهة أخرى بعد أن تطابق الخطاب والممارسة، فالتقت العقيدة بالسلوك، وتلاشت المسافة التي كانت تفصل ذلك عن ذاك، خصوصاً أنّ النخبة الثقافية في الولايات المتحدة باتت تقيم على مقربة من مركز القرار في البيت الأبيض، وأنّ الحكم في أميركا أصبح في يد التحالف ما بين التيار المحافظ واليمين المتطرّف، وهذا التحالف يدعو الى محاربة الأسلاميين من منطلقات ثقافية وعقائدية وليس من منطلقات سياسية قائمة على المصالح الأقتصادية.

أما عن موقف الأسلاميين من اليسار والشيوعية فقد انتقد الباحثون القراءة اليسارية للظاهرة الأسلامية، لأنّها صادرة عن خلفية ثأرية منشأها الشعور بالأحباط، اضافة" الى أنّ اليسار مستمرّ في النظر الى الحركات الأسلامية، على أنّها طارئة ومجرّد طفرة تاريخية.

ثمّ انتقل المنتدون الى الكلام عن "حركة التوحيد الأسلامي" وظروف نشوئها في طرابلس في العام 1982، وتكلّموا عن الشخصيات التي ساهمت في اطلاقها وهي: الشيخ سعيد شعبان، خليل عكاوي (أبو عربي)، الدكتور عصمت مراد، الشيخ كنعان ناجي، والشيخ هاشم منقارة. ومن ثمّ عددوا المراحل التي مرّت بها الحركة الى حين وفاة الشيخ سعيد شعبان، وبحثوا في هيكليتها التنظيمية، وأوضاعها الداخلية، وانتشارها المناطقي، ومواردها المالية، والمؤسسات التي أنشأتها وأشرفت عليها، ومواقفها من مختلف القضايا والأوضاع .

ثمّ تناول البحث "جمعية المشاريع الخيرية الأسلامية" (الأحباش)، وكيفية نشوئها وتأطّرها في العام 1983، وهيكليتها الأدارية، وأهدافها، وأهمّ الشخصيات النافذة فيها، وأساليب الدعوة والأنتشار والأستقطاب التي تمارسها الجمعية، ومدارسها في لبنان والخارج، وتجربة الأحباش في الندوة النيابية، وأخيراً عقيدتهم وفكرهم وكتبهم... هذا وسنتكلّم في حلقة لاحقة عن هذه الجمعية بشكل مفصّل.

وعن حركة "أمل" فقد رأى البعض أنّ مفارقات تأسيس هذه الحركة جعلتها متميزة عن غيرها مقارنة بالقوى والأحزاب الأخرى، وهذه المفارقات طائفية وشعبية وزمنية، وأنّ الدافع الأساسي لظهور الحركة كان التمييز الطائفي المناطقي وقضية الجنوب. ثمّ توقف عند دور الأمام موسى الصدر في تأسيس الحركة منذ أواخر الستينات، والأنتقال من المجلس الشيعي الى "حركة المحرومين". وأفرد حيّزاً واسعاً لدور الحركة في الحرب اللبنانية، والتحولات التي طرأت على بنيتها بعد اختفاء الأمام الصدر في العام 1978، وكذلك على تحالفاتها التي ركّزت على التنسيق مع سوريا، وتأييد الثورة الأسلامية في ايران. ثمّ تناول البنية التنظيمية للحركة واشكالية القيادة، ومن ثمّ مرحلة الزعامة التي بدأت مع تطبيق اتفاق الطائف بداية التسعينات، والأنتقال التاريخي للحركة من موقع المعترض على سياسة الدولة في الحرمان والطائفية الى الشريك في الحكم والنظام السياسي، والمكانة المركزية لرئيسها الأستاذ نبيه برّي في ظلّ الترهّل البنيوي للحركة.

ورأى البعض الآخر أنّ "أمل" لم تواجه مشكلة في الجمع بين الوطن والطائفة، بل بين الوطن ونظام الطائفية السياسية، كما أنّ الحركة واجهت اشكالية غياب الأمام الذي جمع في شخصه المرجع الديني والقائد السياسي. وتوقف عند وضع تيار "المقاومة المؤمنة" المنشق والذي لم يكن تياراً استقلالياً داخل الحركة، ووصف عودة هذا التيار منذ مدّة الى الحركة بأنّه "تحصين الساحة الداخلية للمقاومة والشيعة ولبنان".

ورأى غيرهم أنّ "المقاومة المؤمنة" التي انفصلت عن حركة أمل في شباط 1988، كانت حركة اصلاحية من الداخل، وجزء من الصحوة الأسلامية الشيعية. واعتبر أنّ ملامح التفتّت داخل حركة أمل بدأت منذ اخفاء الأمام وإن تأجّل ظهوره الى منتصف الثمانينات انطلاقاً من اعتراضات داخلية على مسيرة الحركة سياسياً وعقائدياً، وقد شكّل البعد الأسلامي جوهر الخلاف لا سيما في ما يتعلّق "بولاية الفقيه".

ورأى آخرون أنّ "المقاومة المؤمنة" بزعامة مصطفى الديراني تفاعلت من داخل حركة أمل ولم تكن نتيجة ردّة فعل، وأنّ الشرخ في الجسم التنظيمي أعاد الحركة الى خطوط جديدة رسمتها المتغيرات السياسية الأقليمية والدولية، وأنّ زوال الأسباب التي أدّت الى ابتعادها عن رحم الأم أعادها من جديد الى حركة أمل.

ثمّ انتقل المنتدون الى الحديث عن "حزب الله" فعرض بعضهم لأزمة الفكر العربي الأسلامي في بعض محطاته التاريخية ثمّ تتبع المقدمات العملية لتأسيس "حزب الله" من مجموعات حزب الدعوة واتحاد الطلبة المسلمين في لبنان وبعض العلماء، وكان للغزو الأسرائيلي في العام 1982 ذروة الدفع بهذه المجموعات نحو التكتّل. ثمّ تناول المنطلقات العقائدية والسياسية لحزب الله منذ أن أعلن عن نفسه في 16 شباط 1985 والتي وصفها بالجرأة وبعد النظر، والتي تمحورت حول الهوية الأسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومفهوم الأمّة، وقيادة "ولي الفقيه" والجهاد. وركز على محورية القضية الفلسطينية في حركة حزب الله، وعرض لعلاقة الحزب بالداخل اللبناني، وقال أنّ الوضع اللبناني لم يعن كثيراً للحزب الا بالقدر الذي يؤثّر في نشاطه في مقاومة اسرائيل، ووصف الدعوة للأنخراط أكثر من الحياة السياسية الداخلية بأنّها محاولة الهاء عن معركته الرئيسية، واعتبر أن سلوكه الأجتماعي كان انسانياً من خلال علاقاته مع كلّ الفئات اللبنانية، ومطالبته بالعدل للجميع، بمعزل عن انتمائهم الطائفي أو المناطقي. وأكّد أنّ حزب الله ليس مشروع وصولا الى السلطة بل مشروع أمّة بكاملها.

أمّا البعض الآخر فرأى أنّ حزب الله هو حزب ديني قبل أن يكون حزباً سياسياً، وأنّ هناك بعض الآراء المختلفة في الحزب خصوصاً النقاط المتعلقة بمفهوم "ولي الفقيه" ووصف ظاهرة عدم اهتمام الحزب بمغانم السلطة بأنّها نادرة وغير مسبوقة، وهي تشكّل احدى مكامن قوة الحزب وشعبيته... وتساءل أخيراً عمّا سيكون عليه دور الحزب في حال حصول تسوية شاملة لأزمة الشرق الأوسط.

وأخيراً ختمت الندوة أعمالها في البحث عن "الجماعة الأسلامية"، فاعتبرها البعض الحركة الأعرق في الساحة اللبنانية الأسلامية، واستعرض البعض الآخر انطلاقتها الهادئة والملتبسة، وعلاقتها بالأخوان المسلمين وانفصالها عنهم، ثمّ قسّم تاريخها الى أربعة مراحل: الأولى: التأسيس من العام 1914 الى العام 1975، والثانية: من العام 1975 الى العام 1982، والثالثة: من العام 1982 الى العام 1992، والرابعة: من العام 1992 الى العام 2001، وركز على تجربتها في الندوة البرلمانية، وعرض لهيكلية الجماعية التنظيمية، وانتشارها الجغرافي ومؤسساتها، ومن ثمّ توجهاتها الفكرية، ومحاولتها الفاشلة في تأسيس حزب جديد هو "حزب الأصلاح".

شبكة بن لادن في لبنان

على أثر الاعتداءات الارهابية التي وقعت في 11 أيلول ضد مركز التجارة العالمي في نيويورك والبنتاغون في واشنطن، اعلن المسؤولون الأميركيون اعتماد سياسة اللامهادنة تجاه الحكومات التي تأوي المنظمات الأرهابية بشكل عام، وتجاه منظمة القاعدة التابعة لأسامة بن لادن بشكل خاص... وقد تركز الأهتمام على أفغانستان أولاً حيث قواعد بن لادن تتحرك بصورة مكشوفة تحت حماية نظام الطالبان، مع العلم أن النظام الأفغاني ليس النظام الوحيد الذي يغضّ النظر عن أنشطة المجاهدين الأسلاميين المتحالفين مع أسامة بن لادن.

وفي لبنان، فان قوات الاحتلال السورية ما زالت تسمح للمنظمات الارهابية المتصلة ببن لادن بتعبئة أنصارها وتدريبهم داخل المخيمات الفلسطينية بعد أن منعت الجيش و قوات الأمن اللبنانية من دخول تلك المخيمات، وكذلك الأمر في منطقتي البقاع الشرقي ولبنان الشمالي الخاضعتين لسيطرة الجيش السوري المحكمة.

واستناداً الى جريدة نيويورك تايمز ، فان كبار المسؤولين في الدارة الأميركية مثل السيد "بول وولفووتز " نائب وزير الدفاع، والسيد لويس لبي رئيس فريق العمل التابع لنائب الرئيس ديك تشيني، يضغطون باتجاه القيام بحملة عسكرية سريعة وواسعة، ليس فقط ضد شبكة بن لادن في أفغانستان، ولكن أيضاً ضد القواعد الارهابية المشبوهة المتواجدة في البقاع اللبناني... وبحسب التقارير الصحافية فان فريقاً تابعاً

للمخابرات الأميركية قد توجه الى بيروت للاستقصاء وجمع المعلومات عن شبكات الارهاب المتصلة ببن لادن؛ وقد سبق ذلك ارسال لائحة الى بيروت تتضمن 27 اسماً من اللبنانيين المشبوهين في تعاملهم مع منظمة القاعدة.

- عماد مغنيّة .

من الأرجح أن يكون اسم عماد مغنية على رأس اللائحة المذكورة اعلاه، باعتباره رئيساً لجهاز العمليات الخارجية التابع لحزب الله، وصاحب علاقات وثيقة مع بن لادن بحسب مستندات وزارة العدل الأميركية.

ان مغنية الذي يتلقى اوامره مباشرة من المخابرات الأيرانية، كان وراء اعداد وتخطيط العمليات الانتحارية التي استهدفت السفارة الأميركية في بيروت، ومقر قوات البحرية الأميركية – المارينز– في بيروت العام 1983، وكان العقل المدبّر الذي خطّط في العام 1985 لخطف طائرة (TWA) الى بيروت، اضافة الى خطف الرعايا الأميركيين في الثمانينات، ونسف السفارة الاسرائيلية في الارجنتين. وهو الآن ملاحق من قبل السلطات الأميركية التي خصّصت جائزة بقيمة مليوني دولار لمن يقدم لها معلومات تؤدي الى اعتقاله.

وقد نجح مغنّية خلال الخمس عشرة سنة الماضية من الافلات من قبضة القوات الخاصة الأميركية التي كانت تطارده باستمرار، وفي العام 1995 كمن له فريق من المخابرات الأميركية في مطار السعودية في محاولة للقبض عليه بينما كان مسافراً بالطائرة من السودان الى سوريا، ولكن السلطات السعودية أحبطت المحاولة بعد أن منعت طائرته من الهبوط المتوقع في مطارها.

وما يقلق السلطات الأميركية أن مغنيّة الذي يقيم معظم ألأحيان في أيران، بات يتردد كثيراً على لبنان بحماية السوريين خصوصاً بعد أن أكملت القوات السورية احتلالها لهذا البلد في العام 1990، وذلك للاشراف على مخيمات التدريب العاملة في البقاع، وتقول الشائعات أنه يخضع باستمرار لعمليات جراحية في وجهه لتغيير ملامحه.

ان الاتصالات بين مغنية وبن لادن بدأت على الأرجح منذ حوالي ثماني سنوات، وفي العام 2000 اعترف الموقوف علي محمد احد كبار مساعدي بن لادن، والمتهم بتورطه بتفجير السفارتين الأميركيتين في كينيا و تانزانيا، امام محكمة مانهاتن، أنه كان مكلفاً باعداد الترتيبات الأمنية لتأمين اللقاء ما بين مغنيّة و بن لادن في السودان بداية التسعينات، وكان اللقاء مخصصاً للبحث في السبل الآيلة الى طرد القوات الأميركية من الخليج العربي على غرار ما حصل لها في بيروت العام 1983، هذا مع العلم ان الأسلوب الناجح الذي استعمله مغنيّة لطرد قوات المارينز من بيروت، كانا مصدر اعجاب والهام كبيرين لأسامة بن لادن.

وفي حزيران 1996 دعت وزارة الأمن والأستخبارات الايرانية عدداً من زعماء الارهاب في العالم الى اجتماع عقد في طهران حضره عماد مغنيّة الى جانب ممثل رفيع المستوى لأسامة بن لادن ، ومنذ ذلك الحين بدأت اللقاءات تتوالى بين مغنيّة وكبار المخططين في شبكة بن لادن.

هناك شكوك قوية لدى المخابرات ألأميركية بأن عماد مغنيّة قد يكون متورطاً في هجمات 11 أيلول ، وهناك تقارير غير مؤكّدة تفيد بأنه قام بعدة زيارات الى ألمانيا في السنوات ألأخيرة ، واجتمع هناك بالأشخاص الذين كانوا يعدّون لتلك الهجمات قبل حصولها .

ان هذا التركيز على عماد مغنيّة من قبل المسؤولين الأميركيين يعود الى خبرته الواسعة في خطف الطائرات، فبالاضافة الى دوره في خطف طائرة (TWA) المذكورة آنفاً يؤكد البعض انه كان وراء التخطيط لخطف الطائرة التابعة للخطوط الجوية الهندية (آي سي 814) ليلة عيد الميلاد من العام 1999، علماً أن أسلوب خطفها يشبه تماماً الأسلوب الذي خطفت فيه الطائرات ألأميركية الأربعة في 11 أيلول، اذ أن خاطفي الطائرة الهندية كانوا مزودين بسكاكين و مقصّات، وكانت لديهم خبرة في قيادة الطائرة والتحكم بقمرة القيادة، كما وأنهم أقدموا على طعن احد المسافرين وأرغموا الباقين على مشاهدته وهو ينزف حتى الموت بهدف ترهيبهم واسكاتهم ودفعهم الى الخضوع لمشيئتهم، وهذا ما حدث في الطائرات ألأميركية الأربعة... أضف الى أنه ليس من قبيل الصدفة ان يكون عماد مغنيّة هو الذي قاد المفاوضات من أجل اخلاء سبيل رهائن الطائرة الكويتية التي خطفت الى ايران في العام 1994.

عصبة الأنصار

استناداً الى مصادر اميركية ولبنانية موثوقة، فانّ التعاون بين عماد مغنية واسامة بن لادن قد حصل اجمالاً عن طريق عصبة الأنصار، وهي مجموعة فلسطينية سنيّة اسلامية مسلّحة تعمل بشكل خاص في مخيّم عين الحلوة القريب من مدينة صيدا ، وفي مخيّم نهر الباردالقريب مدينة طرابلس في شمال لبنان بحسب بعض التقارير .

مؤسس هذه المجموعة ــ هشام شريدي ــ كان أحد قياديي " الجماعة الأسلامية " البارزين أثناء الحرب اللبنانية في بداية الثمانينات ، وهي كناية عن حركة سنيّة أصولية تعمل في طرابلس وصيدا وعكّار ، وتنادي بقيام نظام سياسي اسلامي ، وتدعو الى الجهاد المقدس ضد الصليبيين الجدد أي اسرائيل والمسيحيين اللبنانيين .

اشتهر الشريدي في محاربة القوات الأسرائيلية في جنوب لبنان ، غير أنّ مشاركته الفعّالة في مقاتلة حركة أمل التابعة لنبيه برّي العام 1986 أدّت الى فصله من " الجماعة الأسلامية " ، عندها بادر الى تأسيس " عصبة الأنصار " ولكنّه لم يلبث أن اغتيل في العام 1991 على يد المدعو أمين كايد رئيس حركة فتح التابعة لياسر عرفات في مخيّم عين الحلوة .

خلف الشريدي مساعده الأقرب المدعو أحمد عبد الكريم السعدي المعروف " بأبو محجن " ، الذي ترأس هذه المجموعة وما يزال حتّى اليوم؛ وجهد في تنظيمها ونشر أفكارها وعقيدتها وتطلعاتها ، بينما اختارت الجماعة الأسلامية السير في ركاب النظام اللبناني الجديد المنبثق عن اتفاق الطائف ، والمشاركة في الأنتخابات النيابية والوصول الى الندوة البرلمانية ... بينما مجموعة أبو محجن ظلّت على موقفها القائم على الجهاد واستخدام العنف سبيلاً الى تحقيقه .

في التسعينات نفذ أبو محجن عدداً من الهجمات على بعض الأماكن الدينية المسيحية ومحلاّت تجارية لبيع الكحول ، ولكنّه عاد وركّز اهتمامه على تصفية أخصامه من الفلسطينيين والجماعات الأسلامية المنافسة له والعاملة في صيدا وضواحيها ، وفي العام 1995 أقدمت مجموعته على اغتيال الشيخ نزار الحلبي زعيم الأحباش في لبنان والمقرّب من المخابرات السورية . وعلى أثرها نفذت الدولة اللبنانية حكم الأعدام بحق ثلاثة من أفراد عصبة الأنصار المتّهمين باغتيال الحلبي ، وحكمت على أبو محجن بالأعدام غيابياً .

والغريب في الأمر أنّ الحكومة اللبنانية المنصّبة من قبل سوريا قد سمحت لذوي المعدومين الثلاثة بالأحتفال في تشييعهم في منطقة المزرعة ، حيث تحوّل الأحتفال الى مظاهرة مسلّحة حضرها أكثر من أربعة آلاف شخص راحوا يشتمون الدولة ويطلقون ضدّها شعارات التهديد والوعيد.

والغريب أيضاً أنّ السوريين منعوا الجيش اللبناني من دخول مخيّم عين الحلوة لاعتقال أبو محجن ،والأغرب من ذلك أنّ هذا المنع بقي ساري المفعول على الرغم من أنّ أبو محجن عاد في أيار 1999 واغتال أمين كايد وزوجته انتقاماً لهشام الشريدي ، ثمّ عاد بعد شهر وأمر باغتيال أربعة قضاة لبنانيين داخل محكمة صيدا انتقاماً لرفاقه الثلاثة ، علماً أنّ هذه الجريمة خلقت موجة عارمة من الغضب والأستنكار اجتاحت لبنان من أقصاه الى أقصاه .

واستناداً الى معلومات أميركية ، فانّ بن لادن بدأ في أواخر التسعينات باغداق أموال طائلة على هذه المجموعة ، وأنّ عشرات الفلسطينيين أرسلوا من لبنان الى مخيمات التدريب في أفغانستان التابعة لبن لادن تحت اشراف عصبة الأنصار .

ويميل البعض الى الأعتقاد أنّ تلك المبالغ الكبيرة من الأموال التي هبطت على عصبة الأنصار قد أدّت الى الأنحراف عن مسارها الجهادي الأساسي ، والأتجاه نحو أهداف خارجية كمساعدة المقاتلين الشيشان في حربهم ضد الجيش الروسي بدلاً من متابعة القتال ضد عدوها الأول والأقرب اسرائيل .

وفي كانون الأول عام 2000 أقدم أحد أفرادها المدعو أحمد رجا أبو خرّوب (أبو عبيدة) على مهاجمة السفارة الروسية في بيروت بواسطة القنابل والصواريخ المحمولة ، مما أدّى الى مقتل عنصر من رجال الأمن المكلفين حراسة السفارة وجرح آخرين . وفي اليوم عينه نفذ أفراد تابعين لهذه المجموعة هجوماً على حاجز للجيش اللبناني بالقرب من عين الحلوة أدّى الى جرح أحد العسكريين ، وبعد أسبوع حاول أربعة عناصر من نفس المجموعة تنفيذ هجوم جديد على السفارة الروسية متنكّرين بزيّ عسكري للجيش اللبناني ، ولكن رجال الأمن أحبطوا المحاولة .

ومنذ ذلك الحين بدأ أبو محجن يبتعد عن الأضواء ، ويتحاشى الظهور العلني ، حتّى أنّ دوره الحالي داخل عصبة الأنصار أصبح غير واضح، وأنّ شقيقه أبو طارق ، ومساعده أبو عبيدة قد حلاّ مكانه على ما يبدو ، على الأقلّ ظاهرياً .

وقد ذكرت بعض التقارير الصحافية نقلاً عن مصادر أمنية محلّية ، أنّ أبو محجن ترك لبنان ولجأ الى احدى الدول الأفريقية ، والأرجح أنّ هذه التسريبات قد أوحى بها النظام السوري للتستير عليه واخفائه واعفائه من الملاحقة ، تماماً كما كان يفعل نظام الطالبان عندما كان يصرّح من وقت لآخر أنّ بن لادن قد غادر الى جهّة مجهولة .

انّ اتصالات بن لادن لم تكن محصورة بالمجموعات الأسلامية فقط بل تعدّتها الى أشخاص . ففي 28 شباط من العام 2000 أدانت محكمة أمن الدولة في الأردن المدعو منير المقدح أحد كبار مساعدي ياسر عرفات في لبنان بتهمة التخطيط لهجمات ارهابية داخل المملكة الأردنية على يد مجموعة من الفلسطينيين أرسلها الى أفغانستان خصيصاً للتدريب في معسكرات بن لادن من أجل تنفيذ تلك الهجمات . ولكن منير المقدح أنكر التهم الموجهة اليه ، وصرّح لاحقاً لوكالة اليونايتدس برس أنّ التنسيق مع بن لادن هو شرف له اذا ما أدّى ذلك الى تحرير القدس . وفي شهر أيلول صدر بحقّه حكم غيابي يقضي باعدامه ، ولكنّ دمشق رفضت السماح لقوات الأمن اللبناني بدخول مخيّم عين الحلوة لأعتقاله على الرغم من الضغوط الكبيرة التي مارستها الحكومة الأردنية لاسترداده .

أمّا كيف استطاع بن لادن تجنيد منير المقدح وغيره من عناصر منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان للعمل في شبكته الأرهابية ، فانّ الجواب ما زال مبهماً حتّى اليوم ، وهناك رأي يقول بأنّ عماد مغنّية قد يكون وراء ذلك التجنيد باعتبار أنّه كان أحد مرافقي ياسر عرفات قبل انضوائه الى منظمة حزب الله في أوائل الثمانينيات .

التكفير والهجرة

ان عصبة ألأنصار كانت على علاقة وثيقة بمجموعة اسلامية أخرى مجاهدة تعمل تحت اسم "ألتكفير وألهجرة " . وهذه الأخيرة قامت بانتفاضة عسكرية فاشلة ضد السلطات اللبنانية في كانون الثاني من العام 2000 ، وأستمر القتال ضارياً على مدى ثمانية أيام في جرود الضنية المكسّوة بالثلوج والواقعة شرقي مدينة طرابلس ، بين هذه المجموعة وأنصارها من جهة ، وبين الجيش اللبناني من جهة ثانية ، وأسفرت المعارك عن سقوط 14 عسكرياً لبنانياً ومقتل 25 مسلحاً من الثوار . وقد أخذت هذه الأنتفاضة بعداً اقليمياً ودولياً بعد أن تبيّن ان عناصرها كانت تنتمي الى جنسيات متعددة من فلسطينية وسورية وعربية وشيشانية وباكستانية وأفغانية وغيرها .

ان قائد هذه المجموعة هو لبناني ألأصل ، أسمه بسام أحمد كنج ، ملقب ب" أبو عيشة "، كان من بين القتلى الذين سقطوا في تلك المعركة . وتفيد المعلومات ان هذا الشخص كان مع عدد كبير من أفراد مجموعته يقاتلون في الثمانينات جنبا الى جنب مع أسامة بن لادن ضد القوات السوفياتية ، واستناداً الى بعض التقارير الموثوقة فأن كنج كان قد سافر الى الولايات المتحدة في العام 1985 مزوداً بمنحة مدرسية حصل عليها من مؤسسة الحريري ، ثم تزوج من امرأة أميركية تدعى مارلين أيرل عادت واعتنقت ألدين ألأسلامي ، وقام بعدة نشاطات من اجل التبرع للمجاهدين الأفغان.

وبعد ثلاث سنوات ، أي في العام 1988 سافر كنج برفقة زوجته الى مدينة بيشاور في الباكستان ليكون على مسافة قريبة من ألأفغان فيتمكن من مساعدتهم بشكل مباشر وفعّال. وأثناء اقامته في بيشاور التقى كنج عدد من الأشخاص الذين أصبحوا في ما بعد النواة التي تشكّلت منها مجموعة " ألتكفير والهجرة " ، وعرف منهم : جميل حمود المعروف بسمير أبو درّة ، وبسام مجهول باقي الهوية ومعروف بألشيخ سمير ، وهلال جعفر المعروف بطارق ، وخليل مكاوي المعروف بأحمد ، وأحمد ألقسّام الذي أعدمته السلطات اللبنانية لاشتراكه في اغتيال الشيخ نزار الحلبي زعيم جماعة الأحباش .

وفي العام 1990 عاد كنج الى الولايات المتحدة الأميركية ، وعاش في مدينة بوسطن ، وعمل سائقاً على سيارة للأجرة ، وقد علم في ما بعد أن صداقة حميمة كانت تربطه هناك بالمدعو رائد حجازي الذي كان هو ألآخر يعمل سائقاً عمومياً في بوسطن والذي أدانته لاحقاً السلطات الأردنية بتهمة التورط في سلسلة من التفجيرات بالاشتراك مع خلية تابعة لبن لادن خططت لها ليأتي توقيتها متزامناً مع حلول ألألفية الثالثة ، ولكن محاولته تلك باءت بالفشل . والجدير ذكره ان المحققين الفيدراليين الأميركيين الذين تولوا التحقيق في أحداث 11 أيلول اكتشفوا ان رائد حجازي كان على علاقة وثيقة مع اثنين من خاطفي الطائرات ألأربع التي أقلعت من مطار بوسطن وهما أحمد ألغمدي ، وسكام ألسقامي .

خلال مكوثه في الولايات المتحدة قام كنج برحلة واحدة على الأقل الى لبنان ، ولكنه في العام 1996 قرر العودة الى بلده الأم بشكل نهائي وما لبث أن أسس منظمة " التكفير والهجرة " ، وقسّمها الى ثلاثة فروع مناطقية : فرع لبنان الشمالي تولّى هو قيادته ، وفرع بيروت تولّى قيادته شخص من آل عكاوي ، وفرع البقاع تولّى قيادته قاسم ضاهر ، وهذا الأخير كان قد تعرّف على كنج في العام 1995 اثناء انعقاد المؤتمر الأسلامي العالمي في شيكاغو– ايلينوي ، وكان يسافر الى أفغانستان بصورة مستمرّة ، وتفيد المعلومات أنه كان مقرباً جداً من الشيخ عمر عبد الرحمن المتهم في عملية تفجير مركز التجارة العالمي في العام 1993 ، والذي يقضي حالياً عقوبة السجن المؤبد في أحد السجون الأميركية... هذا مع العلم ان الشرطة الكندية كانت قد اعتقلت قاسم ضاهر للآشتباه به في عملية التفجير المذكورة ، ولكنها عادت وأخلت سبيله في العام 1998.

واستناداً الى الصحافة اللبنانية ، فان كنج كان يتلقى مساعدات مالية من شركاء بن لادن في الخارج عبر حسابات مصرفية في بيروت وشمال لبنان .

أما الوجوه البارزة المنتسبة الى هذه المجموعة فقد عرف منها بعض الأسماء أو أسماء الحركة وهي التالية : هارون اليمني من باناما ، وشوقي محمد من النمسا ، وأبو كتدا من انكلترا ، وعبد الباري الخليجي من الامارات العربية المتحدة ، وذلك بحسب مستندات المحكمة العسكرية اللبنانية التي تولت التحقيق مع أفراد هذه المجموعة الموقوفين لديها بجرم العتداء على الجيش وتهديد أمن الدولة من خلال الانتفاضة الفاشلة التي قاموا بها في كانون الثاني من العام 2000 كما ذكرنا آنفاً .

معظم الأموال التي وصلت الى "عصبة ألأنصار" استعملت في شراء السلاح من المخيمات الفلسطينية ، ومن أتباع الشيخ صبحي الطفيلي الأمين العام السابق لمنظمة حزب الله ، ومن أبو محجن الذي أدانه القضاء اللبناني بجرم نقل الأسلحة من مخيم عين الحلوة الى قواعد " عصبة ألأنصار " عن طريق البحر ... وقد أنشأت هذه الأخيرة مخيمات للتدريب في جرود الضنّية في شمال لبنان لتدريب عناصرها عسكرياً وعقائدياً تمهيداً لاقامة دويلة اسلامية تكون منطلقاً للسيطرة على كل لبنان .

وتجدر الاشارة اخيراً الى ان المسؤولين الأميركيين تابعوا باهتمام كبير تفاصيل هذه القضية ، وطلبوا من السلطات اللبنانية اذناً للسماح لهم باستجواب الموقوفين الموجودين حالياً في سجن رومية .

خلاصة :

انّ نفوذ أسامة بن لادن في لبنان ، هو الى حد بعيد انعكاس لتنامي نفوذ الحركات الأسلامية في منطقة الشرق الأوسط ، و"عصبة الأنصار" هي بلا شك تعبير عن مشاعر وتطلعات تلك الحركات الآخذة بالتغلغل في العديد من مجتمعات الدول العربية ... ولكن الملفت للنظر هو سكوت سوريا والنظام الدائر في فلكها عن تنامي تلك الحركات في لبنان وتفاعلها داخل المجتمع اللبناني .

وعلى سبيل التبسيط نقول أنّ المجموعات الأسلامية المذكورة آنفاً ما كانت لتستطيع أن تتحرّك بحرّية في لبنان لولا الموافقة السورية الضمنية عليها ، خصوصاً وأنّ الكل يعرف قدرة السوريين في كشف الأقنعة عن المنظمات السرّية المعادية لهم ، واختراقها ، والغائها متى أرادت ذلك، اذاً من غير المعقول أن تصل تلك الكميات الكبيرة من الأسلحة والذخائر الى يد مجموعة " التكفير والهجرة " وتتكدّس في معسكرات التدريب العائدة لها في الجرود الشمالية لمدينة طرابلس من دون علم المخابرات السورية ، كما وأنّ بقاء أبو محجن وغيره من الفارين من وجه العدالة داخل مخيّم عين الحلوة بعيداً عن الملاحقة والأعتقال على الرغم من مذكرات التوقيف الصادرة بحقهم ، هو دليل واضح على الدور السوري المشبوه الذي تلعبه في لبنان .

وهذا لا يعني أنّ النظام السوري يدين بعقيدة الجماعات الأسلامية ويوافق على تطلعاتها ، بل العكس هو الصحيح ، لأنّ النظام البعثي في دمشق هو مبدئياً نظام علماني يتناقض مع مبادىء تلك الجماعات ، وكلنا يتذكر كيف أمر بسحقها بقسوة كبيرة في بلاده مطلع الثمانينات ... انّما يعني أنّ دمشق تتصرّف في لبنان عكس ما تتصرّف في سوريا ، وانّها تسمح للجماعات الأسلامية بالقفز فوق القانون في لبنان لأنّ ذلك يعطيها حجّة ثمينة للبقاء في هذا البلد ، ودرعاً واقياً ضدّ الضغوط الداخلية والخارجية المطالبة بانسحابها .

انّ المسؤولين السوريين يستعملون دائماً هذه الذريعة في لقائهم مع الديبلوماسيين الغربيين ، ويدّعون أمامهم أنّ انسحاب قواتهم من لبنان سيؤدّي الى عودة الفوضى و"الحرب الأهلية " ، والى نشوء مجموعات ارهابية متطرّفة قادرة على تهديد المصالح الأميركية ... ولكن هذا القول غير صحيح ، أولاً لأنّ سوريا هي التي افتعلت الحرب في لبنان لكي تدخل اليه ، وثانياً لأن لبنان كان يلقب بسويسرا الشرق قبل التدخل السوري في شؤونه ، وثالثاً لأن الجيش اللبناني قادر بقواه الذاتية على ضبط الأمن والقضاء على الجزر الأمنية داخل المخيمات الفلسطينية وخارجها كما فعل في شرق صيدا بداية التسعينات ، وفي جرود الضنية العام 2000 ، اذا انسحب السوريون وأصبح طليق اليدين .

في اليوم التالي لاعتداءات 11 أيلول ، أرسل الرئيس السوري برقية الى الرئيس جورج بوش تعهّد فيها تقديم كامل المساعدة " في القضاء على الارهاب في كل أشكاله " ... ولكن كشف النوايا يبقى رهن المستقبل .

منظمة حزب الله

في أعقاب الانتصار الأميركي الساحق على قوات القاعدة في أفغانستان ، بدأت ادارة الرئيس الأميركي جورج بوش تكثّف من اهتمامها بالمنظمة اللبنانية الشيعية المعروفة باسم "حزب الله " ، ذلك لأن الهجمات العسكرية المتواصلة حيناً والمتقطّعة احياناً التي تشنّها هذه المنظمة ضد القوات الاسرائيلية عبر الخط الأزرق ، وانطلاقاً من مزارع شبعا التابعة لمرتفعات الجولان السورية ، والدعم الذي تقدّمه الى المنظمات الفلسطينية المتطرفة على صعيد التدريب والسلاح ، تعتبره واشنطن تهديداً مباشراً لمصالحها في هذه المنطقة الحسّاسة من العالم .

وعلى الرغم من الضغوط الديبلوماسية والأقتصادية غير المسبوقة التي مارستها الأدارة الأميركية على لبنان من أجل التضييق على حزب الله وتحجيمه ، فانّ المسؤولين الأميركيين يقرّون بأن الحكومة اللبنانية عاجزة عن التصرّف من دون موافقة سوريا التي تسيطر بشكل عام على هذا البلد ، وتهيمن على سياسته الخارجية وقراراته الأمنية ، غير أنّهم أي المسؤولين الأميركيين امتنعوا دائماً عن الطلب علناً من السوريين وقف دعمهم لحزب الله، وهذا يعود لسببين . الأول : الموقف السياسي التقليدي للأدارة الأميركية القائم على تحاشي الأدلاء بأيّ تصريح علني بهذا الخصوص خوفاً من الأشارة الى الأحتلال السوري للبنان ، والثاني : سوء تقدير تلك الأدارة لمدى النفوذ السوري على حزب الله ، بمعنى أنّها ما زالت تعتبره فصيلاً ايرانياً ... ولكنّ الواقع أنّ ايران هي المرشد الروحي لحزب الله ، والمصدر الأساسي لتمويله ،بينما سوريا تتحكّم الى درجة كبيرة ، وبشكل فعلي ، بكلّ وجه من وجوه النشاطات التي يقوم بها في لبنان ، بدء" باختيار حلفائه في اللوائح الأنتخابية ، وانتهاء" بتوقيت هجماته على القوات الأسرائيلية .

جذور حزب الله

تأسس هذا الحزب في حزيران من العام 1982 عندما سمحت سوريا للنظام الثوري الشيعي في ايران باستقدام حوالي ألف عنصر من الحرس الثوري (الباسدران) الى البقاع الشرقي الواقع تحت احتلالها المباشر ، وذلك بعد أن كانت تمنع باستمرار أي تدخل ايراني في الشؤون اللبنانية .

غير أنّ الأجتياح الأسرائيلي للبنان ، والترحيب الحار الذي لقيه الجنود الأسرائيليون من قبل الطائفة الشيعية في الجنوب ، دفعا بالنظام السوري الى الأستعانة بالثورة الأيرانية للوقوف في وجه النفوذ الأسرائيلي في البلاد ، اضافة الى عامل آخر هو تزويد سوريا بالنفط الأيراني باسعار مخفّضة جداً .

المجموعة الأيرانية التي وصلت الى البقاع ضمّت مدرّبين عسكريين وروحيين ، وراحت تعمل على الفور في تعبئة الشباب اللبناني من داخل صفوف حركة " أمل " ، وبعض الفصائل المنشقّة عنها بسبب انحرافها نحو العلمانية ، اضافة الى حزب " الدعوة " الأصولي، العراقي المنبت الذي ينتمي اليه عدد من رجال الدين الشيعة في لبنان .

انّ معظم رجال الدين الذين شكلوا النواة الصلبة في نشوء حزب الله ، درسوا الفقه الأسلامي في المدارس الدينية في جنوب العراق ، وتحديداً في النجف ، حيث كان الزعيم الروحي آية الله الخميني وعدد من كبار الأئمّة الشيعة يقيمون في المنفى ، مما جعل هؤلاء يتأثرون بافكار الخميني ، ويتبنون عقيدته المتعلّقة " بالوالي الفقيه " ، وهي العقيدة التي بنى عليها رجال الدين في ايران دستورهم الجديد في العام 1979 ... وفي العام 1985 أعلن زعيم حزب الله ولاءه التام للأمام الخميني ، وتعهّد بالسعي لأقامة الدولة الأسلامية في لبنان .

انّ الأموال والتدريبات الأيرانية أدّت الى نمو حزب الله ، وانتشاره بشكل سريع ، وبخاصة جناحه العسكري الذي كرّس نفسه أولاً لطرد القوات الأميركية والأوروبية المتعددة الجنسيات من بيروت ، ومن ثم طرد القوات الاسرائيلية من لبنان ، وهي أهداف مشتركة لكل من سوريا وايران ... وبالفعل ، وبعد سلسلة من العمليات الانتحارية التي قام بها " حزب الله " ضد القوات المتعددة الجنسيات ، وبخاصة تلك التي استهدفت مقر مشاة البحرية الأميركية–المارينز– ، ومقر المظليين الفرنسيين في تشرين من العام 1983 والتي ذهب ضحيتها حوالي ثلاثمئة جندي ، انسحبت تلك القوات من بيروت بعد أشهر قليلة ، وكذلك فعلت اسرائيل اذ انسحبت في العام 1985 من بيروت الى الجنوب ، بعد أن واجهت عمليات مماثلة من قبل هذا الحزب ومجموعات لبنانية أخرى تابعة لسوريا.

نهاية شهر العسل

بدأت العلاقات تتدهور بين دمشق وحزب الله بعد انسحاب القوات الغربية والاسرائيلية من بيروت ، هذا الانسحاب الذي افضى الى تعزيز موقع سوريا في لبنان بشكل كبير ، وبخاصة بعد أن الغى الرئيس اللبناني أمين الجميل اتفاق حسن الجوار مع اسرائيل – المعروف باتفاق 17 أيار – وتوقف عن المطالبة بانسحاب سوريا من لبنان ، وتعهّد بالتفاوض مع دمشق والتنسيق معها ومع حلفائها من الأحزاب اللبنانية المتحالفة معها ... عندها أصبحت سوريا قادرة على التحكّم بالوضع اللبناني من دون الحاجة الى حزب الله ، خصوصاً وانه يدين بالولاء الى مرجعية أخرى ، وان وجوده على الأراضي اللبنانية كحزب ديني ثوري يسعى الى قلب النظام السياسي اللبناني أصبح يشكّل ، في نظر دمشق، تهديداً مباشراً لسياستها .

ولكن ، وبينما كانت سوريا تنظر بارتياح كبير الى هجمات حزب الله الناجحة ضد القوات الاسرائيلية المرابطة في الجنوب ، كانت في الوقت عينه غير مرتاحة لتصرفات هذا الحزب داخل المجتمع اللبناني ، ان لجهة حملة الخطف التي استهدفت الرعايا الغربيين والتي نفّذها خدمة لأيران ، أو مهاجمة مكاتب بعض الأحزاب اليسارية المتحالفة معها كالحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الأجتماعي ، أو لجهة خطف أربعة ديبلوماسيين سوفيات مما اعتبرته تجاوزاً للخط الأحمر ... الأمر الذي دفع سوريا الى ضبط ايقاع هذا الحزب وتحديد نشاطه بما يتناسب مع مصلحتها .

غير أنّ حملة خطف الرعايا التي استعملتها ايران للضغط على العواصم الغربية لتحسين موقعها ، عادت سوريا واستغلتها هي أيضاً لمصلحتها عندما راحت تعرض على تلك العواصم خدماتها في اطلاق الرهائن لتثبت أمام الرأي العالمي أنها الدولة الوحيدة القادرة على ترويض " الغابة اللبنانية " .

والعامل الثاني في تدهور العلاقات بين سوريا وحزب الله ، كان تمدّد هذا الأخير في منتصف الثمانينات من البقاع الى الضاحية الجنوبية من بيروت ، ومنطقة الجنوب ، الأمر الذي بدأ يشكّل خطراً داهماً على حركة أمل الحليف الأقرب والأقوى لسوريا ، وقد ساعده في هذا التمدد وضعه المادي المريح المتأتّي من المساعدات الأيرانية ، والذي سمح له بتخصيص رواتب عالية لمقاتليه ، وتقديم الخدمات الأجتماعية لأبناء الطائفة الشيعية ، بينما حركة أمل كانت تفتقر لمثل تلك المصادر ، وتعتمد على الجباية الداخلية .

بعد أن تخلّصت سوريا من القوات الغربية والاسرائيلية في بيروت ، قررت الأنتقال الى التخلّص من عدوها المزمن منظمة التحرير الفلسطينية بهدف تحجيمها وتطويعها لكي لا تبقى قوّة مستقلّة خارجة عن طاعتها ... وكعادتها استخدمت في ذلك اطرافاً لبنانيين ، على رأسهم حركة أمل التي كان لها هي الأخرى مصلحة في السيطرة على المخيّمات الفلسطينية وصولاً الى السيطرة على بيروت الغربية .

انفجرت تلك الحرب في العام 1985 ودامت حتّى العام 1987 وعرفت باسم حرب المخيّمات ، وذهب ضحيتها حوالي 2500 قتيلاً فكانت تلك الحرب العامل الثالث في تدهور العلاقات ما بين سوريا وحزب الله ، ذلك لأنّ هذا الأخير أدانها بشدّة ، لا بل وقف الى جانب الفلسطينيين، وقدّم لهم الدعم الأنساني وحتّى العسكري في بعض الأحيان ، وهذا من منطلق عقيدته المحورية المرتكزة على دعم القضية الفلسطينية وتحرير القدس وتدمير الدولة الأسرائيلية .

وفي العام 1987 شنّت حركة أمل حملة عسكرية فاشلة ضدّ القوات الدرزية والفلسطينية في بيروت الغربية ، وبايعاز ايضاً من سوريا وذلك بهدف خلق الذريعة المناسبة لعودة جيشها الى هناك بعد أن كان قد انسحب منها تحت وطأة الأجتياح الأسرائيلي في العام 1982 ، متسترتاً وراء شعارها القديم : تثبيت الأمن والأستقرار في بيروت ... وهكذا صار ، وخلال انتشاره لاقى الجيش السوري مقاومة عسكرية من قبل حزب الله في محلّة البسطة ، فعمد الى اعدام 23 شخصاً من هذا الحزب بينهم أربع نساء وأربعة أطفال بعد أن أوثق أيديهم خلف ظهورهم ، وأطلق الرصاص بدمّ بارد على رؤوسهم ، بحسب ما ذكرت اذاعة حزب الله ... وقد حضر في اليوم التالي حوالي خمسين ألف شخص لتشييع الضحايا وهم يهتفون : الموت لغازي كنعان (رئيس جهاز الأمن والأستطلاع السوري في لبنان) ، بينما وصف آية الله حسين علي

منتظري المرشّح لخلافة آية الله الخميني ، تلك المجزرة بكربلاء القرن العشرين ، اشارة الى استشهاد الحسين في العام 680 في يوم عاشوراء.

وما أن ركزت القوات السورية أقدامها في بيروت ، حتّى عادت واوعزت الى حركة أمل بشنّ حرب شاملة على مواقع حزب الله في الضاحية الجنوبية ومنطقة الجنوب ، وفي شهر أيار من العام 1988 خسر الحزب عدّة مواقع في الجنوب ، بينما استطاع في الضاحية أن يسيطر على ثمانين بالمئة من مساحتها ، وذلك بفضل اعتماده على هجمات عسكرية معاكسة مركزة ومدروسة ، والرشاوى المالية التي أغدقها بسخاء على عدد من قياديي حركة أمل ... عندها تدخلت القوات السورية ، وأعلنت وقفاً لأطلاق النار ، وفرضت هدنة على المقاتلين ، غير أنّ الأشتباكات استمرّت متقطّعة على مدى سنتين تخللتها عمليات خطف واغتيالات متبادلة بين الفريقين .

ولكن اجواء التنسيق ما لبثت أن عادت بين سوريا وحزب الله ، وقد لعبت الظروف دوراً هاماً في ذلك ، اذ توفي الخميني في العام 1989 فانعكس غيابه سلباً على معنويات الحزب ، اضافة الى أنّ مرشده الروحي السيد محمد حسين فضل الله رفض الأنصياع لخليفة الخميني آية الله خامنئي ، لا بل قرر مع أركان الحزب العزوف عن اقامة دولة اسلامية في لبنان ، ولو مؤقتاً والأنصراف الى الجهاد لتحقيق الهدف المحوري وهو محاربة الدولة العبرية .

منظمة حزب الله
الزواج بالأكراه من العام 1990 الى العام 2000

انّ العلاقة بين حزب الله والنظام السوري خلال العقد الأخير وصفت بأنّها تشبه الزواج بالأكراه ، لأنّها كانت قائمة على المصالح المشتركة لا على الصداقة المشتركة .

انّ حزب الله الذي عارض أساساً اتفاق الطائف الذي رعته الولايات المتحدة الأميركية وسوريا والمملكة العربية السعودية ، لأنّه وزّع المقاعد البرلمانية مناصفة بين المسلمين والمسيحيين ، وحرم الطائفة الشيعية من تولّي رئاسة الجمهورية أو رئاسة الحكومة ، وقطع الطريق عليه للتحكّم بسياسة الدولة اللبنانية ... عاد ووافق على هذا الأتفاق ، والتزم بشروط اللعبة الجديدة التي نشأت بعد تشرين الأول من العام 1990 ، عندما اجتاح الجيش السوري المناطق الشرقية ، وأزاح العماد ميشال عون عن السلطة ، وأزال آخر عقبة كانت تقف أمامه للسيطرة الكاملة على لبنان .

كذلك اضطرّت ايران للقبول بالواقع السياسي الجديد في لبنان ، وخفّضت عدد عناصر " الباسدران " من ألفين وخمسماية عنصر الى مايتين أو ثلاثماية عنصر فقط ، وقد حاولت الضغط على سوريا لسحب قواتها المتواجدة في معاقل حزب الله في بيروت ، ولكنّها فشلت لأنّ دمشق رفضت دائماً منح هذا الحزب أي استقلالية ذاتية .

مما لا شك فيه أنّ سوريا لها مصلحة كبرى في دعم العمليات العسكرية ضد اسرائيل طالما ترفض هذه الأخيرة الأنسحاب من هضبة الجولان، وتنفيذ الشروط السورية المتعلّقة بالسلام ، أمّا لماذا منحت حزب الله وكالة " حصرية " للقيام بتلك العمليات دون غيره من الأحزاب والتنظيمات الأخرى المعادية لاسرائيل ، فهذا يعود الى ثلاثة أسباب ، الأول ارضاء لأيران التي وعدت بالوقوف الى جانب سوريا في أيّة حرب محتملة مع اسرائيل ، شرط السماح لحزب الله بالأحتفاظ بسلاحه ــ خلافاً لما نصّ عليه اتفاق الطائف ــ وتنظيم كوادره العسكرية والأمنية ، والأبقاء على جهوزيته ، وتعبئة المقاتلين واقامة المعسكرات لتدريبهم ، واعطائه أحقيّة " النضال " ضد الدولة العبرية . والثاني ، لأنّ حزب الله أثبت مقدرة عسكرية فائقة على أرض المعركة مقارنة بغيره من المنظمات الأخرى ، وقد دلّت بعض الأحصاءات على أنّ هذا الحزب قام بين العام 1984 والعام 1993 بتسعين بالمئة من الهجمات ضد القوات الأسرائيلية في لبنان ، بينما غيره اكتفى بعمليات محدودة ورمزية وفولكلورية في بعض الأحيان . والثالث ، لأنّ مبادىء حزب الله الأسلامية المتطرّفة أسدت خدمة" جلّى للنظام السوري العلماني ، وأظهرته بمظهر النظام المعتدل ، وحسّنت صورته تجاه الغرب ، وأخفت وجهه الأرهابي الى حد بعيد .

ولكن وفي مقابل منحه احتكار الحق في محاربة اسرائيل ، واستمرار مدّه بالمساعدات العسكرية والمالية الأيرانية ، فقد وضعت سوريا على حزب الله قيوداً عسكرية وسياسية صارمة ، على النحو التالي :

القيود العسكرية:

لكي يكون العنف أداة فعّالة في يد السياسة ويحقق أهدافها المرجوّة ، يجب أن يبقى تحت السيطرة المحكمة ، ومنضبطاً ضمن أطر محدّدة ، وموجّهاً نحو أهدافه المرسومة من دون الأنحراف عنها ، ومستعداً للتكيّف مع المتغيرات التي تطرأ على مواقف العدو ، وقابلاً للتفاوض معه في بعض الأحيان ، امّا مباشرة" أو بالواسطة ... وهذه الأمور يعرفها الرئيس السوري حافظ الأسد ويتّقن التعامل معها الى حد الأحتراف.

وخلال العقد المنصرم فرضت سوريا سيطرتها التامة على الستراتيجية العسكرية لحزب الله في حربه ضد القوات الأسرائيلية في لبنان ، كما وقادت جميع المفاوضات غير المباشرة التي جرت بينه وبين الدولة العبرية ، وكان أحد الوجوه البارزة لتلك المفاوضات ، اشراف سوريا على " تفاهم نيسان " في العام 1996 ، والذي لم يكن ليرى النور لولا الرحلات المكوكية التي قام بها وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر يومذاك بين دمشق وتل أبيب توصلاً لأبرام ذلك الأتفاق بين حزب الله واسرائيل .

والوجه البارز الثاني ، كان في تبادل الأسرى بين هذا الحزب واسرائيل من خلال وساطة المانية أدّت الى اخلاء سبيل 45 معتقلاً لبنانيامن السجون الأسرائيلية مقابل جثتين عائدتين لجنديين اسرائيليين ، مع العلم أنّ هذا التبادل لم يعط ثماره الاّ بعد الأجتماع الذي تمّ بين الوسيط الألماني بيرند شميد باور والجنرال غازي كنعان رئيس جهاز المخابرات السورية في لبنان في الثاني عشر من شهر أيار ، وبعد أن أفرجت الحكومة الألمانية عن المدعو حافظ قاسم الدلقموني أحد قياديي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ونقلته الى دمشق في السابع والعشرين من شهر حزيران .

وعلى صعيد العمليات العسكرية ، كانت سوريا تفرض باستمرار على حزب الله تنسيق نشاطاته تنسيقاً دقيقاً وكاملاً ، ليس فقط مع أجهزتها العسكرية ولكن أيضاً مع القيادات العسكرية اللبنانية المعيّنة من قبلها كالجيش ومديرية المخابرات وغيرها ، وقد أنشأت غرفة عمليات مشتركة من أجل هذه الغاية .

اما شحنات الأسلحة التي كانت ترسلها ايران الى حزب الله ، فكانت سوريا تراقبها عن كثب ، وقد منعت وصول أي شحنة مباشرة عن طريق الجو بين طهران وبيروت ، بل أصرّت دائماً على ارسالها أولاً الى دمشق ، وتفريغها هناك ، والكشف عليها ، ومن ثمّ نقلها برّاً الى البقاع اللبناني .

أضف الى ذلك ، وكما ذكرنا سابقاً ، فانّ الأوامر بتسخين الجبهة حيناً وتبريدها حيناً آخراً ، وتوقيت العمليات وتعليقها ، وقصف المستوطنات الأسرائيلية بصواريخ الكاتيوشا وتحديد عددها ... الخ ، كانت تأتي كلّها من دمشق وعبر جهاز التحكّم الموجود في قصر المهاجرين ، وذلك على ايقاع المتغيّرات الأقليمية ، ووفقاً للمصلحة السورية العليا .

القيود السياسية :

وبموازاة القيود العسكرية ، فقد وضعت سوريا على حزب الله قيوداً سياسية تمثلت في تحجيمه في المجلس النيابي ، اذ فرضت عليه القبول بالتحالف مع حركة أمل وتشكيل لوائح انتخابية مشتركة معها لقاء الحصول على عدد معيّن من النواب يوازي عدد النواب الممنوح الى الحركة ، وذلك من دون الأخذ بعين الأعتبار الأرجحيّة الشعبية لهذا الحزب داخل الطائفة الشيعية ، الأمر الذي ساهم يومذاك في توتر العلاقات بينه وبين سوريا .

عشية الأنتخابات النيابية التي جرت في العام 1992 ، وهي انتخابات صورية كما يعرف الجميع . رعت سوريا اتفاقاً بين حركة أمل وحزب الله منحت بموجبه هذا الأخير ثمانية مقاعد نيابية فقط موزّعة على الشكل التالي : أربعة في منطقة بعلبك الهرمل ، واثنين في منطقة الجنوب، ومقعد واحد في منطقة بعبدا ومقعد آخر في بيروت ، اضافة" الى أربعة مقاعد أخرى عائدة لطوائف غير شيعية يختار اسماءها حزب الله .

ولكن وفي أعقاب عملية " عناقيد الغضب " الأسرائيلية العام 1996 ، وبعد أن شعر حزب الله أنّ شعبيته في صفوف الطائفة الشيعية قد ارتفعت بمعدل ملحوظ ، وبخاصة بعد أن أصبح يسيطر عملياً على منطقة الجنوب ، قرر فسخ تحالفه مع حركة أمل في الأنتخابات المقررة يومذاك ، في محاولة لكسب عدد أكبر من النواب ، فأبلغ السوريين بالأمر ، واشترط لمواصلة التحالف الموافقة على منحه تسعة مقاعد في منطقة بعلبك الهرمل بدلاً من أربعة ، وستة في منطقة الجنوب من أصل ثلاثة عشر مقعداً ، بدلاً من اثنين ، مع الأحتفاظ بمقعدي بيروت وبعبدا ، اضافة الى أحقيّة اختيار النواب المسيحيين في الجنوب .

ولكن السوريين ، وارضاء" للولايات المتحدة الأميركية الرافضة لتضخيم دور الأسلاميين في الحياة السياسية اللبنانية ، رفضوا هذا العرض ، وأبلغوا الحزب موافقتهم على منحه ستة مقاعد فقط في جميع الدوائر الأنتخابية ، أي بتقليص مقعدين عن الدورة الأنتخابية السابقة .

رفض حزب الله العرض السوري ، واعتبره تحجيماً لدوره ، واتّهم حركة أمل علناً بعرقلة التحالف والغاء الأتفاق ، وقرر خوض المعركة الأنتخابية منفرداً ، وتشكيل لوائح خاصة به .

وعلى الأثر سارع السوريون الى بناء تحالف مضاد ، وحذروا حزب الله من التعاون مع زعماء الشيعة التقليديين المناهضين للأحتلال السوري أمثال الرئيس كامل الأسعد ، أو مع الحزب الشيوعي اللبناني ، أو مع النائب حبيب صادق الذي كان يحاول بناء تكتّل ضد السيد نبيه برّي ... كما وأنهم ، أي السوريين ، استعانوا بالسيد رفيق الحريري لأسقاط مرشّح حزب الله في بيروت ، فراح مؤيدوه ، الذين يعارضون أصلاً هذا الحزب ، يعلنون على الملأ أن المعركة الأنتخابية الجارية هي بين المعتدلين والمتطرفين .

أذعن حزب الله لأوامر السوريين ، والتزم بالخط الأحمر المرسوم له تحاشياً للأصطدام معهم ... فكانت النتيجة أنّه مني بهزيمة قاسية في الدورات الأولى للأنتخابات ، وخسر مقعديه في بيروت وبعبدا ، وأذاع على الأثر مؤتمراً صحافياً اتّهم فيه السلطة القائمة بالتزوير والضغط على الناخبين لأسقاط مرشحيه ... ثمّ استدرك في آخر لحظة ، وعاد وخضع للشروط السورية ، وقبل بالتحالف مجدداً مع حركة أمل في الدورة الأخيرة للأنتخابات ، وعدّل النتيجة ، وخرج بخسارة مقعدين فقط .

أمّا الأنتخابات البلدية التي جرت في العام 1998 في الضاحية الجنوبية لبيروت بين الفريقين المتنافرين ، والتي لم تشهد تدخلاً سورياً ، فقد أسفرت عن فوز ساحق لحزب الله على حركة أمل ، وفي اليوم التالي نشرت مجلة مونداي مورننغ الأسبوعية مقالاً أعلنت فيه تتويج حزب الله زعيماً على الطائفة الشيعية ، وناطقاً رسمياً باسمها ... ولكن وبالرغم من ذلك الأنتصار ، فقد عاد في العام 2000 والتزم بالشروط السورية ، وتحالف مع حركة أمل في الأنتخابات التشريعية ، ونجح في كسب مقعدين اضافيين في البرلمان اللبناني .

هناك موجة من الأستياء في صفوف حزب الله ناشئة عن مساواته بحركة أمل ، وقد أفضت الى اشتباكات متكررة بين الفريقين ، ومنها ذلك الذي حصل لخلاف على ملعب لكرة القدم ، وأسفر عن سقوط أربعة جرحى من اللاعبين ، وخمسة من عناصر الجيش الذين تدخّلوا لفضّ الخلاف .

انّ أحد الأسباب التي دفعت بالسوريين الى التضييق سياسياً على حزب الله ، يعود الى أنّ هؤلاء اعتمدوا في السيطرة على لبنان على الطبقة السياسية التقليدية الفاسدة في لبنان ، والمنتشرة في كافة المؤسسات والدوائر اللبنانية . بينما حزب الله كان من أشدّ المنتقدين لذلك الفساد ، وطالب بمحاربته بأعلى الصوت ، كما وأنّ الخصائل الحميدة التي اتّصف بها قياديو هذا الحزب في مجال الزهد والترّفع ونظافة الكفّ ، جاءت لتفضح عيوب الطبقة الحاكمة ، وتبرز عيوب أركان الجمهورية الثانية ــ جمهورية ما بعد اتفاق الطائف ــ القائمة على الفساد والرشوة، والمحسوبية ، والسعي المحموم وراء المال الحرام ...

حتّى أنّ فريق كرة القدم التابع لحزب الله استطاع أن يحافظ على مناقبية عالية في بلد بعيد عن الروح الرياضية ، والملفت للنظر أنّه ، وخلال الدورة الرياضية التي جرت في العام 1997 ، لم يرتكب أيّة مخالفة تذكر في جميع المباريات التي اشترك بها ، ولم ينل أيّ بطاقة صفراء .

انّ ابتعاد حزب الله عن دائرة الفساد المنتشرة في المجتمع اللبناني ، وحياة الزهد التي اعتمدها مسؤولوه ، فرضت احترامها على الطائفة الشيعية ، وانعكست اعجاباً به ، وهذا خلافاً لحركة أمل التي نشأت في السبعينات على أساس محاربة الزعامات التقليدية والأقطاعية السياسية، ولكنّها ، وبعد غياب مؤسسها الأمام موسى الصدر ، ما لبثت عن انحرفت عن مسارها ، وسلكت نهجاً تقليدياً ، ومارست الأقطاعية السياسية في عهد رئيسها نبيه برّي وما تزال . علماً أنّ هذا الأخير ، كان في بداية مشواره السياسي في جمهورية الطائف ينتقد بشدّة خصمه رفيق الحريري ، ويعتبره من الزعماء الجدد الأشد التصاقاً بالفساد ، ولكنه عاد ومارس الفساد عينه ، وبخاصة في مجلس الجنوب – المؤسسة الحكومية الواقعة كلياً تحت اشرافه – والذي حوّله الى مكان لحشر الموظفين المقرّبين ، واتفاق الاموال على الأزلام والمحسوبين ، مما حدا باللبنانيين الى تسميته " مجلس الجيوب " تهكماً عليه ، وهو الشيء الذي لم يكن موجوداً في الجمهورية الأولى ، أقله على هذا النحو المفضوح ، الأمر الذي شجّع الطبقة الشيعية المتوسطة التي كانت تمثّل قاعدة أمل الصلبة ، على التخلّي عن هذه الأخيرة والالتحاق بحزب الله ... خصوصاً وان حياة التقشّف التي ميّزت الشيخ حسن نصرالله ، واندفاعه الصادق وراء مبادئه والذي تجلّى في ارسال ابنه الى أرض المعركة وموته في ساحتها ، تناقض تماماً الحياة التي يعيشها رئيس حركة أمل المبنية على الفساد والترف السياسي .

ان هذا المسلك السياسي الداخلي لحزب الله دفع ببعض التيارات المسيحية المعارضة للاحتلال السوري ، الى التنسيق معه في بعض الأمور الوطنية ، ففي أذار من العام2001 اجتمع مع التيار الوطني الحر على دعم المرشح الدكتور سعد البزري في انتخابات نقابة الأطباء في وجه المرشح الدكتور محمود شقير المدعوم من الطبقة الحاكمة وبخاصة من السيدين نبيه بري و رفيق الحريري .

ان سوريا التي دأبت على دعم كل الأحزاب والمجموعات التابعة لها ، وحرّكتها دائماً بالاتجاه الذي يخدم مصالحها ، لم تتوانى عن دعم الشيخ صبحي الطفيلي الأمين العام السابق لحزب الله ، وتقديم الحماية اللازمة له في الوقت المناسب ... فبعد أن أعلن هذا الأخير انفصاله عن الحزب في العام 1992 احتجاجاً على قبوله الانخراط في الانتخابات النيابية ، متّهماً حسن نصرالله بمهادنة الدولة اللبنانية والسير في ركابها، جمع انصاره تحت لواء " حركة الجياع " وأعلن العصيان ضد السلطة اللبنانية محملاً اياها مسؤولية التفريط بحقوق الشيعة ، ثم دفع مقاتليه الى اقتحام حوزة بعلبك التابعة لحزب الله .

عندها تحركت السلطة اللبنانية بأمر من السوريين طبعاً ، فأصدرت مذكرة توقيف باعتقاله من قبل المحكمة العسكرية ، وأرسلت الجيش في طلبه ، فاصطدم مع الطفيلي وأنصاره في معركة ضارية أسفرت عن سقوط عدد من القتلى والجرحى من الطرفين ، ولكن وبعد أن احكم الجيش قبضته على منطقة الاشتباكات ، وضرب طوقاً محكماً على المتمردين ، وبدأ بعملية التمشيط توصلاً لاعتقاله ، في هذا الوقت تدخل العميد السوري علي صافي رئيس المخابرات السورية في بعلبك ، واجبر الجيش على التراجع وسمح للطفيلي مع مئة من عناصره بالفرار الى بلدته بريتال حيث بقي فيها تحت الحماية السورية .

ومن هناك عاود رئيس " حركة الجياع " نشاطه كالسابق ، فالتحق به عدد كبير من المنشقين عن حزب الله ، وراح يتمدد ويبسط نفوذه على بعض النقاط الستراتيجية في البقاع . وفي العام 1999 داهمت عناصره مستودعاً للأسلحة في بلدة النبي شيت يملكه حزب الله ، واستولت على عدد كبير من البنادق الرشاشة ، والصواريخ المحمولة والذخائر المتنوعة ... ثم انتقل الطفيلي الى بلدة " دورس " القريبة من بعلبك وحولها الى مقرّ له لاستقبال الزائرين و المناصرين بعيداً عن أية مساءلة او ملاحقة من قبل ما يسمّى بالحكومة اللبنانية .

وقد ذكرت بعض المصادر الصحافية مؤخراً ، ان انصار الطفيلي قد يخوضون المعركة الانتخابية المقبلة ضد مرشحي حزب الله ، وذلك بايعاز من السوريين من اجل الضغط على هذا الأخير لكي لا يفك تحالفه الانتخابي مع حركة امل .

"سورنة" حزب الله

بعد الأنسحاب الأسرائيلي من لبنان في أيار 2000 ، توقع المراقبون أن يوقف حزب الله حربه ضد اسرائيل ، وينصرف الى العمل الأجتماعي لمساعدة أهالي الجنوب في اعادة بناء اقتصادهم المنهار ، ولكن بعد هدنة قصيرة لم تتجاوز الخمسة أشهر ، شنّ الحزب حرباً

جديدة ضد القوات الأسرائيلية ، ولكن هذه المرّة عبر الخط الأزرق ، من منطقة مزارع شبعا التابعة للجولان والتي يدّعي اللبنانيون ملكيتها . وكذلك منع السوريون الحكومة اللبنانية من ارسال الجيش الى الجنوب على الرغم من الضغوط الدولية التي مورست على بيروت ودمشق ، ولم تسمح الاّ بارسال قوات رمزية لأسكات الرأي العام ، تمركزت في بعض النقاط ولكنها بقيت بعيدة عن الحدود اللبنانية ــ الأسرائيلية .

بالرغم من أنّ الأشتباكات بين حزب الله واسرائيل تدنّت نسبتها كثيراً بالمقارنة مع تلك التي كانت تحصل أثناء الأحتلال الأسرائيلي للجنوب ، فأنّ استئناف العمليات العسكرية هناك انعكست سلباً على الوضع الأقتصادي في الجنوب خاصة" وفي لبنان عامة" ، وأدّت الى هروب المستثمرين ورؤوس الأموال المحلية والأجنبية ، والى انخفاض ملحوظ في شعبية حزب الله ، حتّى في صفوف الطائفة الشيعية .

وفي هذه الأثناء ارتفعت الأصوات المطالبة بانسحاب الجيش السوري من لبنان ، أسوة" بانسحاب الجيش الأسرائيلي من الجنوب ، وبتاريخ 20 أيلول العام 2000 صدر عن مجلس المطارنة الموارنة المجتمع في بكركي بياناً دعا فيه سوريا الى اعادة انتشار قواتها العاملة في لبنان ، عندها ، وللألتفاف على تلك الأصوات ، دعا حزب الله الفصائل الفلسطينية الى تصعيد الأنتفاضة ضد اسرائيل ، ووعد بتقديم الدعم اللازم لها.

وعندما عجزت سوريا عن احتواء تلك الموجة المتصاعدة المعارضة لوجودها في لبنان ، أوعزت الى حزب الله بتسخين الجبهة مع اسرائيل، فتسللت عناصره الى داخل الأراضي الأسرائيلية في منطقة مزارع شبعا وخطفت ثلاثة جنود اسرائيلين . وقد وصف المراقبون هذه العملية الجريئة على أنّها عملية الهاء للرأي العام اللبناني ترمي الى صرف نظره عن الأحتلال السوري ، وترمي في الوقت عينه الى تسليط الأضواء على دمشق التي تهّمش دورها بفعل الأنسحاب الأسرائيلي من الجنوب ، والى اعادتها الى " المعادلة الدولية " بحسب جريدة الديار اللبنانية ... وبالفعل ، فقد أصبحت دمشق ، بعد تلك العمليةالنوعية محجّاً للمبعوثين الأجانب الذين راحوا يتوافدون عليها الواحد تلو الآخر سعياً لأخلاء سبيل هؤلاء الجنود أو الأستقصاء عن مصيرهم .

وهكذا وعلى مدى ستة أشهر متواصلة ، صادف أن جاءت جميع العمليات التي قام بها حزب الله ضد اسرائيل ، مباشرة" بعد كلّ تحرّك كانت تقوم به الأحزاب المناوئة للأحتلال السوري .

في 16 تشرين الثاني عام 2000 زرع حزب الله عبوة" ناسفة على الطريق الدولية بعد خمسة أيام على مظاهرة نظّمها أتباع الزعيم الدرزي وليد جنبلاط احتجاجاً على تهديده من قبل السوريين ... وعلّقت جريدة الدايلي ستار اللبنانية الناطقة بالأنكليزية على تلك العملية بالقول أنّها قد تكون انذاراً للمعترضين على الأحتلال السوري .

في 26 تشرين الثاني عام 2000 نفذ حزب الله هجوماً ضد القوات الأسرائيلية في مزارع شبعا وقتل جندياً اسرائيلياً بعد أربعة أيام على قيام مظاهرات ضخمة معادية للأحتلال السوري ، نظّمها التيار الوطني الحر بمناسبة عيد الأستقلال .

من شهر كانون الأول العام 2000 الى شهر كانون الثاني عام 2001 علّق حزب الله عملياته احتجاجاً على الأشاعات التي سرت يومذاك عن انسحاب جزئي محتمل للقوات السورية من لبنان .

في 16 شباط عام 2001 استأنف حزب الله عملياته ضد جيش الدفاع الأسرائيلي ، وقتل جندياً اسرائيلياً ، بعد أربعة أيام فقط على مقابلة تلفزيونية مباشرة أجرتها احدى محطّات التلفزيون اللبنانية مع العماد ميشال عون ، والتي هاجم فيها بعنف الأحتلال السوري ، ولاقت صدى" ايجابياً جداً في لبنان اذ ظهر استطلاع للرأي العام نشرته تلك المحطّة في نهاية المقابلة أنّ تسعين بالمئة من اللبنانيين يؤيدون موقفه .

في 14 نيسان عام 2001 عاد حزب الله وشنّ هجوماً جديداً ضد القوات الأسرائيلية بعد شهرين من الهدوء ، وذلك مباشرة" بعد الدعوة التي أطلقها التيار الوطني الحر الى تنظيم تظاهرة ضد الأحتلال السوري بمناسبة ذكرى اندلاع الحرب اللبنانية . ومن أجل ترويض المعارضة أوعز السوريون الى السلطة اللبنانية بعدم الترخيص لتلك المظاهرة وقمعها بالقوة ، ثمّ أوعزوا الى " جماعة الأحباش " والحركات الأصولية الأخرى بالنزول الى الشارع حاملين الفؤوس والسكاكين والسواطير .

في مطلع العام 2001 وقبل عملية 16 شباط ، أبلغ رفيق الحريري عدداً من المستثمرين الفرنسيين أنّ هناك اتفاقاً واضحاً بوقف استفزازات حزب الله في الجنوب ، وفي طريق عودته الى بيروت عرّج على دمشق وقابل الرئيس السوري محاولاً اقناعه بأنّ الحرب الدائرة على الحدود اللبنانية ــ الأسرائيلية تعيق كل الجهود الآيلة الى تأمين الأستثمارات الخارجية و الأعانات المالية ، فردّ عليه الأسد بلهجة قاسية بأنّ حزب الله مخوّل الأستمرار في عملياته العسكرية الى حين سقوط أرييل شارون من رئاسة الحكومة الأسرائيلية .

وبعد العملية التالية ، أي في 14 نيسان عام 2001 نشرت جريدة المستقبل التابعة للحريري مقالاً في صفحتها الأولى تساءلت عمّا اذا كان لبنان قادراً على تحمّل أعباء تلك الهجمات والهجمات المضادة على الصعيد السياسي والأقتصادي والأجتماعي والمالي . وقد أثار هذا المقال غضب الرئيس السوري الذي رفض استقبال الحريري لأكثر من شهر ، واستعاض عنه بخصمه اللدود عمر كرامي الذي استقبله بحرارة لافتة.

انّ الدور السوري في توقيت هجمات حزب الله ، واجبار الزعماء اللبنانيين على القبول باستمرار الحرب على الحدود الدولية مع اسرائيل ، أصبح واضحاً أمام الجميع ، لذلك وبعد عملية 14 نيسان قررت اسرائيل تغيير قواعد اللعبة ، والرد مباشرة على القوات السورية في لبنان ،

خلافاً لما كان يحصل في السابق . وبالفعل وبتاريخ 16 نيسان قصف سلاح الجو الأسرائيلي موقعاً للرادار السوري في منطقة ضهر البيدر ، ثمّ عاد وقصف موقعاً آخر جرح فيه جنديين سوريين وذلك بعد يومين على هجوم كان نفّذه حزب الله وجرح فيه جندياً اسرائيلياً .

انّ تسليم حزب الله بالامرة السورية الكاملة على عملياته العسكرية خلال السنوات الأخيرة ، ترافق مع دعمه المطلق للاحتلال السوري ، حتّى أنّ مسؤولي هذا الحزب ، وخلافاً للسابق ، أصبحوا من أشد المتحمّسين لهذا الأحتلال والمدافعين بقوة عن وجوده .

اثر عودة البطريرك الماروني مار نصر الله صفير من جولة الى الخارج في آذار 2001 قام بها لكسب الدعم الدولي لموقفه المندد بالأحتلال السوري ، وبعد الأستقبال الشعبي الكبير الذي لقيه من قبل عشرات الألوف من اللبنانيين على طول الطريق الممتد من المطار الدولي الى بكركي ، أوعز السوريون الى الشيخ حسن نصر الله بالرد عليه خلال الأحتفال الضخم الذي أقيم بمناسبة عاشوراء بتاريخ 4 آذار ، وجاء في كلمته ما يلي : " انّ الوجود السوري مصلحة داخلية وأقليمية بالنسبة للبنان ، وواجب قومي بالنسبة لسوريا ، واذا قرر المسؤولون السوريون سحب جيشهم من لبنان فاننا سنعارض ذلك بشدّة ، وسنقول لهم أنّهم على خطأ ".

انّ التأييد المطلق الذي أظهره حزب الله للأحتلال السوري خلال السنوات الماضية ، وفي وقت تعاظمت فيه القوى المعارضة لهذا الأحتلال ، حدا بالرئيس السوري بشّار الأسد الى دعم هذا الحزب بشكل لم يسبق له مثيل ، وعندما زار حسن نصر الله العاصمة السورية استقبله الأسد بحفاوة بالغة وتملّق ظاهر ، وأمام دهشة المراقبين سمح لحزب الله باقامة استعراض عسكري أمام مقرّه الريفي في اللاذقية .

خلاصة:
يعتبر البعض أنّ هذه العلاقة الحميمة بين سوريا وحزب الله تعود الى سذاجة بشّار الأسد وقلّة خبرته السياسية ، ذلك لأنّ ولاء هذا الحزب هو أولاً وآخراً لأيران وليس لسوريا ، ويعتبر أيضاً أنّ زمام الأمور قد تفلت من يد سوريا ، وقد تنجرّ الى حرب شاملة مع اسرائيل لن تكون في مصلحتها ، اذا ما قررت ايران تصعيد العمليات العسكرية لسبب من الأسباب .

والبعض الآخر يرى أنّ سوريا قادرة على التحكّم بحزب الله أكثر من ايران بسبب اشرافها العسكري المباشر عليه وتحكّمها بموارده المالية ، علماً أنّ هذا الحزب بات يعتمد على دمشق في تلك الموارد أكثر من اعتماده على طهران ، وذلك لأنّ مصادر التمويل الحالية صارت تأتي بمعظمها من المتمولين اللبنانيين ورجال الأعمال الدائرين في الفلك السوري ، اضافة" الى التبرعات التي تجمعها الجاليات اللبنانية الشيعية في عالم الأغتراب .

وعلى أرض الواقع يبدو واضحاً أنّ حزب الله يحضّر نفسه لمواجهة شاملة مع اسرائيل ، وبحسب المصادر الأسرائيلية فانّ شحن الأسلحة الى هذا الحزب يتزايد يوماً بعد يوم ، وأنّه بات يملك حتّى الآن حوالي سبعة آلاف منصّة لصواريخ الكاتيوشا القادرة على ضرب العمق الأسرائيلي . كما وأنّه في صدد بناء خط دفاع متين في قلب الجنوب منعاً لتقدّم الدبابات الأسرائيلية اذا ما حصلت تلك المواجهة .

واذا كان حزب الله يخطط لتصعيد عسكري كبير ، فانّ توقيت هذا التصعيد سيكون قرار" سورياً من دون شك .

التركيبة الاسلامية في عين الحلوة

ان الجريمة التي حصلت في مخيّم عين الحلوة في شهر أيلول المنصرم ، والتي ذهب ضحيتها ثلاثة عسكريين لبنانيين ، سلّطت الأضواء على هذا المخيّم ، وعلى مجموعة من القضايا والعناوين الداخلية .

وبحسب مصادر اسلامية مطّلعة ، فان مرتكب الجريمة المدعو بديع حمادة والمعروف " بأبو عبيدة " هو لبناني من مواليد القماطية وسكان القياعة في صيدا ، تحوّل من المذهب الشيعي الى المذهب السنّي ، واعتنق افكاراً سلفية من دون أن ينتمي الى حركة تنظيمية محددة كما أشيع ، لا الى عصبة الأنصار التي يتزعمها " أبو محجن " وشقيقه أبو طارق ولا الى "عصبة النور " – نسبة الى جامع النور في المخيّم –المنشقة عن الأولى والتي يتزعمها عبدالله الشريدي .

بعد ارتكاب الجريمة التجأ " أبو عبيدة " عند"عصبة النور" ، ثم جاءت "مجوعة الضنية" التابعة لجماعة " التكفير والهجرة" وأمّنت له الحماية ، وأصدرت فتوى بعدم جواز تسليمه الى جهة غير اسلامية ، وهدّدت بعظائم الأمور اذا ما حاول احد ذلك ، ولكن عصبة الأنصار عادت ودخلت على الخط وداهمت مقره تمهيداً لتسليمه الى مشايخ صيدا .

وتفيد تلك المصادر ان القوى الاسلامية تسيطر بشكل خاص على حي الصفصاف داخل المخيّم ، وهو الحي الذي لجأ اليه " أبو عبيدة" ، والذي حوّلته عصبة الأنصار الى معقل حصين لها . كما وتتواجد في هذا الحي منظمتا حماس والجهاد الاسلامي ولكن من غير تحصينات عسكرية تذكر لأن احداً من افرادهما غير ملاحق من قبل السلطات اللبنانية ، ولأنهما قررتا الانصراف الى العمل الاجتماعي دون العمل العسكري باعتبار ان دورهما الجهادي هو في فلسطين وليس في الشتات .

وتفيد المصادر ان عصبة الأنصار وهي مجموعة سلفية متشدّدة كما ذكرنا آنفاً ، تملك خطوطاً مفتوحة على القوى الاسلامية عامة" ، وعلى مجموعة فتح التي يقودها منير المقدح خاصة" ، ويتم تبادل الدعم بينها وبين تلك االأطراف في بعض الأحيان .

وكما هو معروف ، فقد تعرّضت عصبة الأنصار في المخيّم الى تشققات عديدة ، لاسيّما بعد غياب أبو محجن عن الواجهة ، وأبرزها تمثل في انشقاق "عصبة النور" . ولكن وفي المقابل فقد انضمّت اليها من دون الانتساب عضوياً ، مجموعات جزائرية وتونسية وباكستانية وأفغانية وغيرها ، لجأت الى المخيّم هرباً من السلطات اللبنانية التي تلاحقها بجرم الاقامة غير المشروعة ، ويعتقد أن لهؤلاء أصل جهادي ما ، وصلة مباشرة او غير مباشرة بشبكة بن لادن الارهابية . كما انضمّت اليها مجموعة من شباب الضنية الهاربين من الملاحقة القضائية بعد الانقلاب الفاشل الذي نفذوه في بداية العام 2000 ، ويقال ان من بين هؤلاء يوجد ثلاثة اشخاص هم أهم بكثير من كل المعتقلين لدى المحكمة العسكرية اللبنانية ... وباختصار فان تفسّخ الوضع التنظيمي لعصبة الأنصار لم يحل دون استقطابها لمجموعات مستقلّة تنظيمياً ومتعاونة فعلياً ، وتمسك ببعض المحاور العسكرية ضمن المخيّم .

وتضيف المعلومات أيضاً ان اثنين من المجموعة التي نفّذت جريمة اغتيال القضاة الأربعة في قصر العدل في صيدا ، جرت تصفيتهما في المخيّم ودفنا فيه . وان عصبة الأنصار التي اغتالت الشيخ نزار الحلبي ، فعلت ذلك بايحاء من تنظيم القاعدة التي أصدرت فتوى تقول بأن جماعة الأحباش كفّرت الفكر السلفي والمؤسسة الدينية السلفية ورموزها . لذلك تؤكّد الأوساط المطلعة ان علاقة تنسيق وتعاون كانت قائمة وما تزال بين عصبة الأنصار وشبكة بن لادن ، وان تأمين الاتصال بينهما يقوم به أفراد من العصبة مقيمون في دول اسكندنافية .

هذه صورة عامة عن الوضع داخل المخيّم ، اما عن المخرج الذي انتهت اليه عملية تسليم "أبو عبيدة" الى السلطات اللبنانية ، فتقول المصادر عينها ان الشيخ جمال خطّاب لعب دوراً هاماً في انجاحه الى جانب الشيخ ماهر حمود ، وخطّاب هو استاذ جامعي متخرّج من الجامعة الأميركية في بيروت ومجاز في العلوم السياسية ، ويقيم في المخيّم منذ أن صدرت بحقّه مذكرات احضار للتحقيق معه ، ويمثّل عامل عقلنة بين تلك المجموعات المتنافرة، وهو الذي رتّب تدخل مشايخ صيدا في حل الاشكال المذكور .

اما الشيخ ماهر حمود ، ءامام مسجد القدس في صيدا ، فقد نجح في وساطته على اساس ان وضعه مقبول عند الحالة الاسلامية في عين الحلوة لأنه على مسافة من تجمع العلماء المسلمين ومنظمة حزب الله ، وهذا التميّز اراح السلفيين المفرطين في حساسيتهم تجاه الفريقين المذكورين .

والعامل الأهم والأخير الذي ساهم في تسليم "أبو عبيدة" هو الحصار المحكم المضروب على المخيّم والاجراءات المشدّدة عليه من قبل الجيش اللبناني ، والخوف من مضاعفة معانات سكانه ، مما يؤكّد ان قرار تسليمه بني على حسابات الربح والخسارة أكثر ممّا بني على حسابات دينية ...

وتشير المصادر أيضاً الى ان توازن القوى داخل المخيّم اشبه بتوازن الرعب ، ذلك انه لو لم يحصل هذا المخرج لكانت الأمور سارت باتجاه الحسم العسكري بين القوى الاسلامية من جهة وبين حركة فتح من جهة ثانية ، خصوصاً وان هذه الأخيرة استقدمت قوات دعم اضافية لفرض مرجعيتها على المخيّم بعد أن قررت تسليم "أبو عبيدة" بالحسنى أو بالقوّة .

وتختم تلك المصادر بالقول ان ما يساهم في ابقاء المخيّم على وضعيته الراهنة هو الطوق المضروب عليه باحكام ، موضحة" ان عدد المطلوبين في داخله قليل قياساً الى عدد الذين يتم استدعاؤهم للتحقيق ، فيخافون ويبقون في المخيّم ويتضاعف احتقانهم ، فيلتصقون اكثر بالجماعات المتطرّفة ، لذلك فانها تنصح السلطة اللبنانية بقدر من "التنفيس" طالما ان عملية اقتحام تلك المغارة التي اسمها عين الحلوة لا تزال تخضع لاعتبارات سورية واقليمية معروفة .

استنتاج:
مما تقدم يتبين بوضوح ان سوريا التي قضت على مقومات الدولة اللبنانية السياسية والاقتصادية والمالية والأمنية والاجتماعية والثقافية ، وأبقت على معالمها فقط ، بمعنى أنها أزالت الجوهر وتركت الشكل ، راحت تبتز هذا البلد الى ابعد حدود الابتزاز ، وتسخّر طاقاته ، او ما تبقّى منها ، لخدمة مصالحها الذاتية ، ضاربة" بعرض الحائط مصلحة لبنان ومصيره السائر نحو الزوال المحتوم ، وحالة الاحتضار التي يعيشها اللبنانيون .

وينظر اللبنانيون الى سكوت العالم المطبق عن الجرائم السورية المتمادية في بلدهم ، وسياسة سوريا المنهجية في تدميره ، على انها جريمة أكبر ، لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

كما ويرى اللبنانيون ان اللعبة الخطيرة التي يمارسها النظام السوري على أرضهم في دعم الحركات الاسلامية والمنظمات الارهابية ، ستؤدي في نهاية المطاف الى الانفجار الكبير ، ليس في لبنان فحسب وانما في المنطقة بأسرها ، وذلك اذا لم يبادر العالم الى تغيير سياسته ، والاسراع في تخليص لبنان من براثن الذئب السوري .

لبيك لبنان

أبو أرز

في 23 شباط 2003